# العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي ( ت٩٠٩هـ/١٥٠٤م) "قامة علمية وقيمة سياسية"

**د. عبدالقادر بوعقادة**

**جامعة البليدة٢ – دولة الجزائر**

**تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٢/٤**
**تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٤/١٤**

**الملخص**

يعتبر العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي ( ت٩٠٩هـ/١٥٠٤م) أحد فقهاء بلاد المغرب الأوسط العاملين، الذي ساهموا في تفعيل الحركة الفكرية والعلمية بعموم بلاد المغرب، مثلما يعد أحد أقطاب الفقه الذين كان لهم تأثير خارج المجال المذكور إلى حيث بلاد السودان الغربي، حينما رحل إلى هناك حاملا مشروعا علميا وسياسيا واعدا، فغيّر مجرى واقع بلاد السودان بعد لقائه بأمراء وحكام المنطقة، ثم وتزويدهم بتعليمات تصب في إطار بناء الحكومات الإسلامية، فكان ناشرا لتعاليم الإسلام، ومنافحا عن عقيدته، خصوصا بعد تجربته مع يهود توات والأحكام التي سلطها عليهم، حينما تمادوا في تعديهم وانتهاكهم لمواثيق الذمة المعروفة عصرئذ. سنسلط الأضواء من خلال المقال على أعمال العلامة المغيلي، لنستخلص أهم الأدوار التي تكفل بها فقهاء المغرب الأوسط، وتأثيرهم الاجتماعي والعلمي والسياسي.

الكلمات المفتاحية: الامام المغيلي، تلمسان، اليهود، توات، السودان الغربي

## The scholar Muhammad bin Abdul Karim Al-Maghili (d. 909 AH / 1504 AD) "Scientific status and political value"

**Dr. Abdelkader Bouagada**
**University of Blida 2 - Algeria**

**Abstract**

The scholar Muhammad bin Abdul Karim Al-Mughili is considered one of the working jurists of the Central Maghreb countries, who contributed to activating the intellectual and scientific movement throughout the Maghreb countries. He is also considered one of the poles of jurisprudence who had an influence outside the aforementioned field to the countries of Western Sudan when he traveled there carrying a scientific and political project. Promising, he changed the course of the reality of Sudan after meeting with the princes and rulers of the region and providing them with instructions that fall within the framework of building Islamic governments. He was a spreader of the teachings of Islam, and an advocate for his faith, especially after his experience with the Jews of Tuat and the rulings he

imposed on them when they went too far in their transgression and violation of the known covenants of the time. Through the article, we will shed light on the works of Al-Maghili to extract the most important roles undertaken by the jurists of Central Morocco and their social, scientific and political influence.

**key words** : Imam Al-Mughili, Tlemcen, Jews, Tuat, Western Sudan

**التمهيد**

يعد العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي من أبرز الفقهاء العاملين الذين تركوا بصمتهم في المجالين العلمي بفضل تعليمه طلاب العلم او تصنيفه في علوم شتى، أو السياسي حينما قام برحلة نحو بلاد السودان الغربي([1]) منطلقا من تلمسان([2]) إلى بلاد توات ([3])، اشتغل على التنظير السياسي بغرض تنظيم شؤون بلاد السودان، وتوجيه حكامها نحو خدمة أحسن لمجتمعاتهم. يعتبر العلامة المغيلي أول من وضع دستورا لعموم بلاد السودان، وسطر لهم منهجا لتسيير شؤونهم الداخلية، وكذا التعامل مع الآخر وفق مبادئ الشريعة وأحكام الفقه. وقد بقيت آثار المغيلي في هذا الشأن معتمدة، ولا تزال قيمتها معتبرة في تاريخ قيام الامارات في بلاد السودان وغيرها.

من هذا المنطلق سأحاول طرح إشكالية تغوص في البحث عن قيمة المغيلي كعالم له من التاثير والأثر ما يلفت الانتباه، وما له من طرح عميق من خلال المشروع السياسي الذي قدمه العلامة المغيلي وأثره، أولها فعله في بلاد توات، وثانيها تشريعه في بلاد السودان؟ وهل يمكن الاستثمار في رؤيته لأجل توثيق العلاقات مع هذه المنطقة الأخيرة الغنية اقتصاديا والمهمة استراتيجيا؟ وبذلك تحقيق قفزة على مستوى السياسة الخارجية لبلادنا، وتوظيف التاريخ لخدمتها؟

إنه لمن العجيب أن تذهب جهود السابقين سدى، ولا تستثمر أفكارهم وأعمالهم لربط بلاد الساحل بتاريخنا، وإبعاد الأخطار المحدقة هناك على تلك المنطقة، وأثر استقرارها على استقرار البلاد المجاورة لها ونحن منها. لقد بات ضروريا أن يسهم التاريخ في تقوية العلاقة وإبعاد الأطماع الخارجية بواسطة العودة الى التاريخ، والواجب على القائمين بشؤون العلاقات الالتفات الى هذا الرصيد الذي سيدفع إلى الخلاص والتقدم والازدهار للمنطقة.

**من هو المغيلي؟**

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ( ت٩٠٩هـ/١٥٠٤م) أحد أعلام وأقطاب تلمسان والمغرب الأوسط()[4]، حيث ينسب عالمنا هذا إلى مغيلة، تلك المدينة القديمة التي تقع شرقي

أرشقول – بالغرب الجزائري حاليا – سكنتها قبيلة مغيلة(٥)، وقد ذكرها البكري بأنّها مدينة مسورة (عليها سور)، وبها جامع وسوق، يمرّ بها نهر يصبّ في البحر من شرقها(٦)، هناك كان مولد العلامة عام ٨٢٠ هـ ، الذي عرف بالفقه والكلام والمنطق والتفسير والتصوف(.(٧

نشأ المغيلي بقريته وبها درس ثم انتقل الى تلمسان – كما تقتضيه عادة الدرس والتلقي – في رحلة علمية ليأخذ معارفه على يد علامتها محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي، كما كانت تقتضي المعرفة حينذاك أن يقوم الطالب بالرحلة الى خارج الديار للاستزادة من المعارف وطلب الإجازة وتوثيق السند العلمي، فكانت له الرحلة نحو عالم العصر في وقته وهو علامة حاضرة جزائر بني مزغنة والمغرب الأوسط، وهو الشيخ الفقيه صاحب التفاسير عبد الرحمن الثعالبي الجزائري ( ت ٨٧٥ هـ/١٤٧١م )، ولم يكتف المغيلي بذلك، بل وجدناه يشد الرحال إلى أكبر حاضرة مؤثرة في تاريخ العلوم عصرئذ وهي بجاية، فأدرك شيوخها وتلقى العلم عليهم، ليعود إلى تلمسان سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م، وهي ثاني حواضر المغرب الأوسط فيدرس ويدرّس بها، فيذاع صيته هناك. ومنها سافر إلى بلاد توات التي سيكون له بها شأن عظيم، حينما يلتف حوله ساكنتها، ويقوم بحل أكبر مشكل بها وهو سيطرة السماسرة اليهود على أسواقها. ومعلوم أنّ السيطرة على سوق توات وبلد تمنطيط وقصورها معناه السيطرة على درب التجارة بين بلاد السودان من جهة وحواضر بلاد المغرب ( مراكش وفاس، تلمسان، مليانة... وغيرها) وبلاد الأندلس من جهة أخرى. وللتوضيح فإنّ موقف العلماء والفقهاء من أوضاع بلاد المغرب الإسلامي عمومًا والأوسط، ومن هذه المسألة أيضا قد انقسم الى اتجاهين:

الاتجاه الأول: وتميز بالانكفاء على الذات بالتربية والزهد. ولم يهتم كثيرا بحكم تزهده وابتعاده عن واقع الناس.

أما الثاني: فقد شكل العلماء فيه الموقف الرافض والمعارض للواقع والسلطة، بعد إعلان الحجة و توضيح الغاية، فكان ممن مثلوا هذا الاتجاه محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي حدثت في عصره مسألة يهود توات، ودخل في نقاش حولها مع باقي فقهاء فاس و تلمسان، وهو ما جعل بعض الفقهاء يعمد إلى إثارة أمير تلمسان الزياني ضد المغيلي، على أنّه يريد السّمعة والانتصار لنفسه، ومعاندة السلطان، وهذا ما اضطره إلى التصريح الواضح بمعارضته موقف الفقهاء هؤلاء، وعدم قبوله بموقف السلطان الذي اتهمه بالرغبة في قلب الأوضاع لفائدة غرائز سياسية، وفيه صرّح المغيلي بأنّ الملك عنده"ما هو والله إلاّ هو والكنيف سيّان"، ثم خرج إلى الصحراء لينفّذ رؤاه، وأنّه لن يلتقي سلطانًا(٨).واستعاض سلطان تنبكتو (الأسكيا محمد الكبير) بسلطان بلاد فاس و أمير تلمسان. ثمّ استقرا بإقليم توات، وبلاد السودان (.(٩

وهكذا ارتبط تواجد المغيلي بتوات بقضية ونازلة اليهود هناك، والتي انتهت بجلائهم من هناك ثم محنته معهم ومقتل ابنه على أيديهم، لتأتي مرحلة أخرى من مراحل حياة ونشاط الإمام المغيلي حينما خرج إلى بلاد السودان الغربي، والتي سيكون له بها شأن عظيم ثاني.

القيمة العلمية والسياسية للعلامة المغيلي.

نعتقد – بعد رصدنا لتاريخ الفقه ببلاد المغرب من خلال دراستنا ([١٠])– بأنّ الامام المغيلي ينتمي إلى مدرسة الإمام الثعالبي، هذا الأخير الذي تزعم مدرسة الفقه والتفسير بالمغرب الأوسط، حينما تتلمذ على مشايخ بجاية وتلمسان، وتتلمذ عليه – كذلك – طلبة بجاية وتلمسان، وقد انتهت مدرسته إلى أكبر عالمين بالمغرب الأوسط وهما محمد بن يوسف السنوسي– عالم تلمسان وبلاد المغرب الشهير بالكتابة في العقائد– وصاحب ترجمتنا الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي.

وبقدر ما يكون الحديث عن عناية المغيلي بالسياسة فإنّ ذلك لا يعني بأنّ هذا العالم لم يهتمّ fالعلوم، حيث تخبرنا المصار بأنه كان فقيها ومفسرا ومحدثا ومتكلما ومنطقيا، وله فيها آراء مدونة، منها كتابه "الرّد على المعتزلة"، وهو تأليف لا يزال مخطوطا، ولكنه لا يردّ فيه على المعتزلة – وقد تصدى علماء السنة لهم، لسدّ ذريعة إفساد الشريعة– وإنّما كان المغيلي يكتفي بإيضاح رأي أهل السنة حول الاشتغال بعلم الكلام، وكان المغيلي يحتج على منحاه في هذا "بأنّ الإتيان بالباطل لإبطاله ليس كالإتيان بالباطل لإثباته"، إلاّ أنّ ما يلاحظ، هو أنّ خوضه في علم الكلام لم يكن بالشكل الذي خاض فيه السنوسي، و يتّضح ذلك من خلال تنبيه المغيلي على عدم التمادي في تقرير العقائد التوحيدية بعلم الكلام، لأنّ الطريقة النبوية هي الأصلح للأمة، والأقرب للأفهام([١١])

كان الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي ( ت٩٠٩هـ/١٥٠٤م) من أكثر الشخصيات العالمة تأثيرا حلّت بواحات وقصور تمنطيط([١٢]) ، حيث جاء لتلقي العلم والدرس على عالم توات وشيخها يحيى بن بدير بن عتيق. وهناك كان مما لفت انتباه المغيلي هو دور الجالية اليهودية المتحكمة والمتمكنة في الأسواق التواتية، إذ تواجد بسوق تمنطيط لوحده نحو ثلاثمائة وستين صائغا يهوديا. ولم تكن هذه الجالية متوافرة بتوات فحسب، بل كانت موجودة أيضا بتلمسان، وكان المغيلي على دراية بأعمالها وأدوارها منذ كان بتلمسان يتلقى الدرس على يد الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي، ليخرج منها إلى توات وهو يردد:

تِلمسانُ أرضٌ لاَ يلِيــقُ لـــــنا ولكنَّ لُطفَ اللهِ نَسأَلُ في القضاءِ

وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهــود وفجار و من لـيس يرتــضى([١٣])

وفي بلاد السودان احتك المغيلي بالأمراء والحكام، وكان منهم صاحب كانو الحاج محمد أسكيا الذي كتب له رسالة وتأليفا أجاب فيه عن مسائل مهمة في أمور السلطة، مثلما كان يحثه على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقرر لهم فيها من أحكام الشرع وقواعده ما يفيدهم في حياتهم اليومية ، وهناك ببلاد السودان بلغه مقتل ابنه عبد الجبار بتوات( [١٤])

ولم يكن المغيلي ليهتم بالتأليف في السياسة الشرعية وطرق تسيير الحكم فحسب، بل وجد له مصنفات في علوم أخرى، منها تأليفه " البدر المنير في علوم التفسير" و "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، وله شرح مختصر خليل سماه "المغنى النبيل"، كما ألف في علم الحديث والمنطق، وله من القصائد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ميمية على نهج البردة([١٥]). وقد دعا الدارسون إلى ضرورة إعادة النظر حول ما كُتب عن المغيلي، بهدف القراءة الجيدة والجديدة، لأجل تخليص أرائه من شوائب الكتابات التقليدية المتسرّعة من جهة، ومن تخريجات الغربيين غير المقبولة، التي تتسم بالتشوية والافتراء من جهة ثانية، وذلك فيما يخص فتاويه تجاه أهل الذمّة، وأسلوب كتاباته في السياسية الشرعية([١٦])

كما اعتبر البعض أنّ النموذج المغيلي، وغيره من أعلام المدرسة التواتية، يعدّ المثال الواضح لاكتمال هذه المدرسة في اهتماماتها بداية من التعليم والتدريس، إلى الفتوى والقضاء، فالتغيير الاجتماعي والسياسي، ثمّ تأسيس الدول ([١٧])، و لكنّ الحديث عن المدرسة التواتية يؤدي بنا إلى ضرورة التنبيه على أنّ الاعتماد على المغيلي في تصوير وصياغة ملامح المدرسة يعدّ من الأخطاء الجسيمة، لأن المغيلي كان أحد أقطاب المدرسة، وليس كل المدرسة، حيث كان يمثلها من الجهة المقابلة الفقيه أبو محمد العصنوني ([١٨])الذي وجدت لفتاويه ومواقفه التأييد داخل توات و خارجها.

وقد توصلت الدراسات – من خلال دراسة فتاوى الفقهاء بالمنطقة وتفحص مصنفاتهم– إلى صياغة معالم المدرسة الفقهية الأصولية المالكية التواتية، وأجملتها في الاهتمام باللغة ومعاني القرآن و تفسيره والعناية بالحديث النبوي من خلال قراءة الموطأ و شرحه وصحيحي مسلم و البخاري، كما اهتمت بالسيرة النبوية كمصدر لتأصيل القضايا الفقهية، مع العناية بالنوازل([١٩]) والاعتماد فيها على مبدأ ما جرى به العمل بالمدرسة المالكية، و الذي جرى مجرى العمل الخاص بالمنطقة قصد تأسيس العمل التواتي([٢٠]) .

وإنّه من الواجب التنبيه – فيما يخص المدرسة الفقهية التواتية– إلى أنّ الاعتماد على المغيلي في تصوير وصياغة ملامح هذه المدرسة يعدّ من الخطأ الجسيم، لأنّ المغيلي محمد بن عبد الكريم كان أحد الأقطاب الوافدة على المدرسة، وليس كل المدرسة، إذ كان يمثل في الجهة المقابلة الفقيه عبد الله العصنوني وأتباعه، وهو الذي وجد لفتواه ومواقفه مؤيّدون داخل توات وخارجها فيما يخص مسألة يهود توات، وتداعياتها على سبيل المثال، ممّا ينبّه على اختلاف صياغة الفتيا بين الفقيهين، ومن ورائهما الاتجاهين .

إن أحسن تقديم لعالم كالمغيلي هو ذكر انتاجه وعلمه ومواقفه، كما يحسن تحليل بعض أفكاره من خلال مدوناته، لنؤكد بأنّ المغيلي قام بأعمال جليلة، وصنف مؤلفات مختلفة الاختصاصات، كان له بها تأثير كبير على الحياة العلمية والفكرية على بلاد المغرب والسودان الغربي، ولا يزال صداه حاضرا إلى يومنا هذا. وقد برز حضوره العلمي في أمرين:

أولا: الخوض في المنطق والمسجالة فيه :

كان من بين الإنجازات العقلية للإمام المغيلي خوضه في علم المنطق والموقف منه، يظهر هذا من خلال التباين بينه وجلال الدين السيوطي ( ت ٩١١هـ/١٥٠٦م) من حيث إنكار أو إثبات قيمة المنطق والخوض فيه(٢١)، فحينما ألّف السيوطي كتاب "القول المشرق في تحريم علم المنطق"، ولخص كتاب ابن تيمية المسمى " نصيحة أهل الإيمان في الرّد على منطق اليونان" في مصنف سماه "جهد القريحة في تجريد النصيحة"، ثم دوّن كتابا آخر جمع فيه ما تقدم في الكتابين من أقوال العلماء، سماه :"صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام"، عندها كان ردّ المغيلي أن صنف كتابين، وهما كتاب "منح الوهاب في ردّ الفكر إلى الصواب" وكتاب"فصل الخطاب"، فكان منح الوهاب نظماً في المنطق، أمّا فصل الخطاب فهو شرح له، في حين يوجد عنوان آخر للمغيلي فيما يخص المنطق سماه " لب الألباب في رد الفكر إلى الصواب" ، الذي قام على تحقيقه بلقاسم ضيف الجزائري، وهو عبارة عن كتاب منثور في المنطق( ٢٢)

كان الموقف من مسائل الكلام والخوض في علم المنطق من المسائل التي دار حولها النقاش (٢٣)، وامتد إلى زمن متأخر من العصر الوسيط، ولم يستقر النقاش بين علماء المشرق فقط، أو بين علماء المغرب فقط، بل جرت هناك مناظرات ومراسلات – حول المنطق مثالاً– بين المغاربة والمشارقة. ومن مظاهر هذا كان أن انتفض الإمام المغيلي على هذا الموقف، وبعث بالردّ عبر رجزه"منح الوهاب في ردِّ الفكر إلى الصواب"،جاء فيه:

سَمِعت بأمر ما سَمِعت بمثله و كل حديث حُكمُه حُكم أَصلِه

أيُمكنُ أن المرءَ في العِلمِ حُجةٌ و ينهى عن الفُرقان في بعض قَوله

هل المنطق المعني إلاّ عبارة عن الحق أو الحقيقه حين جهله

معانيه في كل الكلام فهل ترى دليلا صحيحا لا يرد لشكله ؟

أريني هداك الله منه قضية على غير هذا تنفها عن محله

و دع عنك ما أبدى كفور و ذمه رجال و إن أثبت صحة نقله

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم دليلا على شخص بمذهب مثله

و قد كان جواب السيوطي على نفس القافية، وعلى نفس الوزن، ما جاء فيه :

حمدّت إله العرش شكرا لفضله و أهدي صلاة للنبي و أهله

عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقر بفضله

تعجب مني ألفت مبدعاً كتاباً جموعاً فيه جم بنقله

أقرر فيه النهي عن علم المنطق و ما قاله من قال من ذم شكله

و سماه بالفرقان يا ليت لم يكن فذا وصف قرآن كريم لفضله

و قد قال محتجبا بغير رواية مقالا عجيبا نائياً عن محله

و دع عنك ما أبدى كفور و بعد ذا خذ الحق حتى من كفور بختله

و قد جاءت الآثار في ذم من حوى علوم يهود أو نصارى لأجله

يجوز به علما لديه و أنه يعذب تعذيبا يليق بفعله (٢٤)

مع الملاحظة أنّ الإمام السيوطي الذي حاوره المغيلي، قد اعترف بفضل المغيلي، في وقت اعتبر نفسه مجددا للعصر، وطمح إلى ذلك بقوله في أرجوزته :

هذه تاسع الميئين و قد أتت و ما يخلف ما الهادي وعد

وقد رجوت أنني المجدد فيها و فضل الله ليس يجحد

ومع هذا نجد السيوطي يحرّم ما قد سبق الإقرار به من قبل المجددين الأوائل، أمثال الإمام الغزالي، الذي أتقن الفلسفة وسائر فروعها، ولم يحرم منها إلاّ قسم الإلهيات، والغزالي هو القائل " من لا معرفة له بالمنطق، فلا يوثق بعلمه"([٢٥]). ولم يكتف المغيلي بمؤلفه" منح عبد الوهاب في رد الفكر إلى الصواب"، بل عمد إلى شرح قصيدته هذه في المنطق بمؤلف سماه " فصل الخطاب" ([٢٦]).

يقدم لنا هذا السّجال بين مغربي ومشرقي في قضايا أثارت نقاشا حادا، صورة واضحة المعالم على ذلك الإتجاه العقلي السائد في تلمسان والمغرب عموما، إلاّ أنّ هذا الاتجاه الذي مثله المغيلي والحافظ التنسي والسنوسي والعقباني، قد أخذ يضعف في أوائل القرن ١٠هـ ويقلّ سالكوه ([٢٧])، هذا الاتجاه الذي سيضعف ويتلاشى بعد القرن العاشر، رغم أنّ بعض العلماء وطلبة العلم قد حاولوا الاستمرار في هذا التوجه.

نصل من خلال هذا إلى نتيجة مفادها " أنّ المغيلي كان يرى في المنطق وسيلة نحو تحقيق الحق، في حين عارضه السيوطي، هذا الأخير الذي حرّم المنطق وذكر بأنّه كفر، منتهجا في ذلك أسلوبا آخر وهو التقيّد بالنصوص فنفّر من هذا الاتجاه المغيلي بحكم مسلك مدرسته. ولا شك أنّ اقتناع المغيلي بالمنطق كأسلوب لبلوغ الحقائق قد كان تأثره بمأخذ ومنحى ابن رشد الجد والحفيد – عالما الأندلس وبلاد المغرب – الأوائل في مجال العلوم العقلية([٢٨]). كما يبرز لنا هذا قيمة طرق التحصيل العلمي التي كانت تزخر بها تلمسان، وغيرها من الحواضر عصرئذ، ومع هذه المعارضة من عبد الرحمن السيوطي اتجاه المغيلي، فإنّ العالم المشرقي كان يقرّ لابن عبد الكريم بالفضل والولاية، كما اعترف المغيلي للسيوطي بتبحّره في العلوم، وقد أخذ كل واحد عن صاحبه الأوراد ([٢٩]). وسينتهي السيوطي إلى الاعتراف بفضل المغيلي وقيمته العلمية.

**ثانيا: المغيلي والسياسة الشرعية:**

صنّف المغيلي في ميدان السياسة الشرعية، وبالأخص العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين وفي مسائل إدارة الحاكم للرعية، وقد تجسد فكره وتوجهه من خلال أمرين إثنين هما:

١– نشاطه في توات:

وما كان لهذا العلامة من مواقف اتجاه فئة أهل الذمة وعلى وجه التحديد اليهود الذين كانوا كذلك بتلمسان، حينما قوي سلطانهم الاجتماعي والاقتصادي، وصاروا يتحكمون في

رقاب الناس، فأفتى فتواه الشهيرة بالإنكار عليهم وضرورة إجلائهم، وهذا بالاستناد إلى عدد من فقهاء المغرب الأوسط. وقد برزت شهرة الإمام من خلال هذه النازلة التي أثارت الفقهاء الذين اصطفوا في موقفين، أحدهما مؤيد لمنحي المغيلي وآخر معارض لموقف هذا الفقيه، وقد كان من بين مؤيدي المغيلي محمد بن يوسف السنوسي والحافظ التنسي ([٣٠]).

تحضر نازله توات كأهمّ حادث أثار ضجة ببلاد المغرب ككل، حينما وقع نزاع بين الفقيه العصنوني والعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي حول يهود توات، وجدالهما حول الانتهاكات التي قام بها اليهود، فكان محمد بن عبدالله بن عبد الجليل التنسي ([٣١]) ممن وقف إلى جانب المغيلي ([٣٢]). حيث أشار الإمام السنوسي إلى فتوى التنسي المؤيدة للمغيلي بقوله: "لم أر من وفّق لإجابة هذا المقصد، وبذل وسعه في تحقيق الحق [...] سوى الشيخ الإمام القدوة، علم الأعلام العلامة الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن عبدالله بن عبد الجليل التنسي"([٣٣]).

معلوم أنّ محمد بن عبد الكريم المغيلي كان بتلمسان، ولكنه خرج منها في أثناء المحنة التي لحقت بأحمد بن يحيى الونشريسي في ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩ م، هذا الأخير الذي فرّ خوفا من الأمير الزياني (أبو عبدالله محمد بن ابي ثابت المتوكل على الله)، بسبب اكتشاف هذا الأخير لمؤامرة تحاك ضده، اتهم فيها الونشريسي بالوقوف وراءها، ففرّ الونشريسي وهدمت داره، وهو ما دفع بالمغيلي إلى مغادرة البلدة نظرا للعلاقة التي تربطه بالونشريسي، وكان ذلك سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م(.[٣٤])وقد لاحظ المغيلي مدى الاستعلاء الذي كانت تتّسم به تصرفات اليهود في تلمسان وفاس وتوات وغيرها من الحواضر التي سافر إليها، ممّا يعني أنّ موقعهم الاجتماعي قد أخلّ بوضعهم كأهل ذمة، وقد قال في ذلك العلامة المغيلي : "لاشك في أنّ اليهود المذكورين قد أُحلت دماؤهم و أموالهم ونساؤهم، و لا ذمة لهم، لأنّ الذّمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية، وإنمّا يكون لهم الذّمة الشرعية مع إعطاء الجزية وهم صاغرون ".([٣٥])

وقد أشار صاحب القول البسيط إلى وضع اليهود بتوات الذي أثار المغيلي، حيث يقول : و بها ثلاثمائة وستون صائغا يهوديا([٣٦]) . فاليهود إذا كانوا يسيطرون على التجارة والمال، كما كانوا يشاركون في حركة القوافل التجارية، هذا الوضع قد أكسبهم موقعا اجتماعيا واقتصاديا أقلق الفقهاء وعلى رأسهم المغيلي، ممّا دفعه إلى الكتابة لفقهاء الأمصار " فاس وتلمسان و تونس" يطلب تأييدهم في الموقف الذي اتخذه تجاه هؤلاء اليهود الذين أخلّوا بحقوق الذمة()[٣٧]. وكان ممّا استنكره المغيلي أيضا – حسبما وضّحته رسالة العصنوني إلى

فقهاء تلمسان وفاس واعتبره تشغيبا وفتنة– الموقف من بناء الكنائس أو البيع بالنسبة لليهود ([٣٨]). ونعتبر هذا سببا مباشرا في ظهور النازلة، وثوران المغيلي على الوضع، وقد اعتمد المغيلي في ثورته ضد اليهود على أنّه لا ذمة لهم، لانتقاضهم إيّاها بتلك الأعمال المنافية للذلّ والصغار، المشروط في أداء الجزية، كما اعتبر أنّ نقض بعضهم هو لازم لكلهم، فأباح دماءهم وأموالهم.([٣٩])

والظاهر أنّ المسألة لم تكن في عهد المغيلي فحسب، بل كانت سابقة عليه باعتبار الفتاوى المعتمد عليها، وباعتبار ما أورده الونشريسي في معياره، حينما أفرد لفتوى بناء الكنائس ببلاد الإسلام صفحات مهمّة، جرد فيها أقوال الفقهاء المالكية في ذلك ابتداءً من صاحب المذهب – الامام مالك– إلى غاية عصر الفقيه التونسي محمد بن عرفه الورغمي (ت ٨٠٣هـ/١٤٠١م) ، كما ذكر إجماع أهل الشورى بقرطبة على منع إحداث الكنائس في بلاد الإسلام، وهي موجودة في نوازل ابن سهل، وذكر أيضا ما فصّله القرافي في الذخيرة، وكان آخر من تكلم وجمع الفتاوي القاضي العقباني (ت٨٧١هـ/١٤٦٧م) في "تحفة الناظر في تغيير المناكر"، حيث قدّم في ذلك نصوص المتقدمين والمتأخرين، وذكر فتوى أبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني في مسألة يهود توات بالضبط([٤٠]) ، واعتبر أنّ ما يقوم به هؤلاء اليهود منكر فضيع، يتقدم في إزالته بما أمكن، وربما كانت فتوى أبي القاسم العبدوسي الإمام حافظ المغرب، الذي استوطن تونس، أكثر تبيانا ووضوحا، على أنّه ليس لهم إحداث ولا إصلاح في شيء من بلاد المسلمين، وذكر فتوى شيوخ المغرب قبل هذا، على أن لا ذمّة لهم، وأنّ من أعانهم على ذلك أو نصرهم، فهو كافر، وفاسق تلحقه لعنة الله والرسول صلى الله عليه وسلم.([٤١])

كما أظهر صاحب المعيار جواب شيوخ المغرب الذين افتوا بأن لا ذمة لهؤلاء، باعتبار بيعهم الخمر ، كان ذلك أيام السلطان المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ( ٦٨٥–٧٠٦هـ/ ١٢٨٦–١٣٠٦م ) فاتفق على قتلهم، وأشار أيضا إلى أنّ هذه الفتوى لا تختص بالمغيلي ولا بفقهاء بلاد المغرب المالكية عموما، وإنّما هي فتوى المذاهب الأربعة المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي، وذهب إلى ذلك أهل الظاهر ([٤٢])أيضا بالقول بالمنع، وانتهى إلى أنّه من تعرض لذلك، فإنّ جواب العبدوسي شامل له حينما جعله في دائر الفسوق والكفر([٤٣]).

وقد حاول بعض الباحثين إعطاء العمل الذي قام به المغيلي من خلال إفتائه في نازله يهود توات وتطبيق الفتوى مبدئيا بهدم الكنائس بعدا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وأنّ رؤيته

ليست فقهية نابعة من وجود كنائس قديمة أو تجديدها، أو استحداثها و مخالفة هذا الرأي لأحكام الشريعة، بل هي رؤية مستقاة من تصرفات اليهود، وممارستهم كحالة مستعلية في بلاد المسلمين([٤٤]) . وهي رؤية مشروعة لكن ما كان يجب إغفال البعد الديني الظاهر من خلال طلب الفتوى، والاستقواء باجتهادات العلماء لأجل تطبيق الأمر، وكان المغيلي يرتكز على أنّ اليهود قد تجاوزوا الحدود الشرعية(.[٤٥])

لقد طرح كل من المغيلي والعصنوني مسألة معاملة يهود توات على مجموع فقهاء حواضر الفقه عصرئذ، وأجاب عن المسألة أغلبهم، حيث يذكر التنبكتي مثلا إجابات كل من الرّصاع مفتى تونس، وأبو مهدي الماواسي مفتى فاس، وابن زكري مفتى تلمسان، والقاضي أبو زكريا يحيى بن أبي البركات الغماري وعبد الرحمن بن السبع التلمسانيان، كما أجاب في المسألة أيضا من أيّد المغيلي وعلى رأسهم أبو عبد الله التنسي ( ت ٨٩٩هـ/١٤٩٤م) ومحمد بن يوسف السنوسي ( ت ٨٩٥هـ/١٤٩٠م)، وتذكر المصادر أيضا أنّه حينما وصل جواب العالمين الأخريين بالتأييد لمنحى المغيلي مقابل معارضة البعض الآخر، عمد المغيلي إلى تعبئة أتباعه وأمرهم بلبس آلات الحرب، وقصد كنائس اليهود، وأمر بقتل كل من عارض مسعاه فهدموها في حادثة، لم يتناطح فيها عنزان(.[٤٦])

ولم يقلّ أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني(٩٢٧هـ/١٥٢١م) شأنا عن المغيلي في النازلة حينما بعث المغيلي إلى فقهاء أمصار بلاد المغرب، حيث قام العصنوني بإرسال كتاب يسترشد فيه فقهاء تلمسان وفاس أيضا، يذكر فيه مشاغبة المغيلي وولده عبد الجبار، تشغيبا يوقع الفتنة، وقد كان هذا السؤال من العصنوني نتيجة سؤال طرحه تلميذه محمد بن عبد الجبار بن أحمد البرزوزي الفجيجي( ت ٩٤٥هـ/١٥٣٩م) ([٤٧])، وهو في سؤاله لفقهاء تلمسان وفاس يقدّم جوابه المنافي لمنحى المغيلي، والمعتمد فيه على ما ورد في كتاب الجامع لمسائل المدونة لابن يونس ومسائل البرزلي وابن الحاج، وقد قام بشرح الموضوع محلّ النزاع شرحا وافيا معتمدا فيه على أقوال المالكية ([٤٨])، ويظهر من خلال تقصي بعض الجمل في المصادر بأنّه رغم هذه الهبّة من المغيلي وأتباعه، إلاّ أنّ الانتصار في الأخير كان للعصنوني والجالية اليهودية من حيث بقاء العصنوني وأتباعه مستمسكين بالقضاء والفتيا، ومن حيث مغادرة المغيلي لقصور توات إلى بلاد السودان، بالإضافة إلى مقتل ابنه عبد الجبار بتوات من قبل اليهود([٤٩]). وبصدد ذكر الأبناء فإنّ المغيلي قد ترك إبنين هما عبد الجبار وآخر عبد الله الذي نسب كل أحفاده إليه بتوات، في حين هاجر المغيلي الأب إلى السودان، فتزوج بكانو وأنجب من الأبناء أحمد وعيسى والسيد الأبيض .([٥٠])

٢- في بلاد السودان:

كانت الحادثة الثانية في حياة المغيلي ما تعلّق بإقليم السودان الغربي، فحينما علم سلاطين بلاد السودان بما وقع في إقليم توات، واستأنسوا لعلم المغيلي ودفاعه عن مبادئ الإسلام، راسلوه وطلبوا آراءه في تسيير شؤون إماراتهم، وقد انتبه المغيلي إلى أنّ هؤلاء السودانيين كانوا ذوي نوايا صادقة، لكن تعاليم الإسلام لم تتمكن فيهم، فكتب إليهم رسائلا في شؤون الإمارة والحكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الفساد، وما يجب من تراتيب الإمارة، وهو ما يدخل في إطار السياسة الشرعية والأحكام السلطانية. وكان من جميل عباراته في ذلك ما لخص أهداف رسالته، إذ يقول: " إنّ عدل الأمير ذبحته التقوى فقطع أوداج الهوى، وان جار ذبحه الهوى فقطع أوداج التقوى" .([٥١])

على إثر ذلك ألف المغيلي في السياسة الشرعية مدونات يمكن أن تكون نبراسا لهم في تعاملهم مع الرعية المختلفة المعتقدات فكان مما وصلنا منها : "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"، وقد صدرت عبر كتاب بجامعة أكسفورد وترجم إلى الإنجليزية، كما علق عليه أحد أساتذة التاريخ بنيجيريا وهو " جون هونويك **J . Hunuick**"، وقام بتحقيقه عبد القادر زبادية، وهي سبع أسئلة وجهت إليه أردفها بسبع إجابات.

وأمّا كتابه الثاني"تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، فقد حققه محمد خير رمضان يوسف، أما مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الذي حققه كل من رابح بونار سنة ١٩٦٨م، وعبد المجيد خيالي سنة ٢٠٠١م، فقد وقع الناسخ ومن ورائه المحققان في غلط حينما جعلوا لها هذا العنوان، والحقيقة أن عنوانها هو: " فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يجب على أهل الذمة من الجزية والصغار ."([٥٢])والحقيقة أيضا أن التثبت من بعض المصادر أمر صار حتميا يتطلب التوثيق فيه، إذ لا نجد ارتياب الناس في هذا العنوان فحسب، بل تطرح عناوين أخرى اختلفوا في نسبتها.

وقد أشارت دراسة إلى أنّ رسائل المغيلي وخطاباته في هذا الشأن لم تكن من أجل إعادة الخلافة وذكر شروطها وكيفيات توليها، فذلك ممّا يدخل في باب نظرية الإمامة، التي عرضها البعض كجزء من العقيدة، وتناولها آخرون بجزء مستقل عن الكلام، وأرجع السبب إلى نوازع السلطة السياسية بين الكثيرين، بل إنّ هدف المغيلي كان دفع من بيده السلطة إلى تطبيق قواعد الشريعة.([٥٣])

ومن الواجب التنبيه إلى أنّ هذه الرسائل بالفعل لم تكن وفق سياق التناول الذي اعتاده الفقهاء سالفا، في الحديث عن السياسة الشرعية، والتي تصب في إطار التمكين للخلافة الإسلامية، لكنها كانت على شكل نصائح تطبيقية واقعية، يمكن إدراجها ضمن النوازل التي سئل عنها الفقهاء، فهو من منطلق استفسار هؤلاء الأمراء، كان يمرر حديثه عن الإمامة الواجبة، والأركان اللازم توفرها فيها، فكان يتفق في الهدف مع ما كتبه الأوائل عن مبادئ الحكم ومقاصده، وفي الوقت نفسه كان يجيب عن أسئلة الأمراء، للتمكين لنفس المقاصد، وهو يعلم جيدا محدودية القائمين على الإمارة هناك باعتبار أنّ مالا يدرك كله لا يترك جله، فاقتصر على إيضاح ما يجب على الحاكم المسلم في نفسه ورعيته، وترتيب أحوال مملكته، ومن هنا أمكن أن نضع منهجه وتعاليمه في ذلك ضمن النظرة الحديثة لشؤون السياسة، بعيدا عن الأحكام التقليدية، وسلوك المحافظين في ذلك.

خرج المغيلي من بلاد توات وقصور تمطيط، بعد أن ترك أثرا كبيرا بفتواه، حيث أحدثت تحولا جليلا بالمنطقة، وهي التي ذاع بها صيته، فاستقبلته ملوك بلاد السودان(٥٤) . وأخذ طريقه نحو جهات عدّة من بلاد السودان، والتقى بأمرائها وحكامها، ومنهم صاحب " كانو الحاج محمد أسكيا " الذي كتب له رسالة في أمور السلطة، ونصحه فيها باتباع الشرع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقرر لهم فيها أحكام الشرع وقواعده، كما اجتمع بسلطان كاغو محمد الحاج أسكيا في بلاد تكرور، وألف له تأليفا، أجاب فيه عن مسائل، وهناك بلغه مقتل ابنه عبد الجبار بتوات من قبل اليهود، فعاد إلى توات، وبها توفي سنة ٩٠٩ هـ.(٥٥)

تدخل رسائل المغيلي ضمن التوجيهات التي كان يقدمها الفقهاء في شأن الحكومة الإسلامية، وكيف كان يراها هؤلاء، وهي نظرة تختلف عن التوجيهات السابقة، ليس من حيث الجديد والابتكار، وإنمّا من حيث اختصاصها بجهات لم يكن السابقون قد تحدثوا إليها مثلما أشار إلى ذلك المغيلي، فهو يرسل رسائله ويعطي توجيهاته بناء على طلبات من الملوك والسلاطين، كما أنّ هؤلاء السلاطين أو الملوك لم يكونوا مثلما تعوّد عليه الفقهاء من ملوك المسلمين و أمرائهم، وإنما اختص ذلك بأمراء القبائل الذين لم يكن لهم نظام سابق إلاّ الأعراف القبلية، رغم أنّ تأثيرات المسلمين كانت قد سبقت إليهم منذ قرون، إلاّ أنّ تعمّقهم في فهم الدّين وتفقههم في مسائله العادية كان ضئيلا، فضلا عن المسائل الحكمية والسياسة الشرعية، ومن هذا المنطق قدم محمد بن عبد الكريم المغيلي رسائله في السياسة والحكم، بناء على هذا المعطى المتمثل في حاجة هؤلاء إلى نظرة دينية في السياسة الشرعية، لأجل تسيير شؤون الناس و علاقاتهم مع الآخرين.

كانت توصيات المغيلي غاية في التوجيه والتنبيه على ما يجب في حق الأمير ورعيته، والعلاقة بينهما فيما لم يكن معروف لدى قبائل بلاد السودان التي أخلطت بين ما هو إسلامي وما هو وثني ويهودي، فجاءت رسائله مهتمّة بشؤون الحكم وتسييره، وكان من أبرز تلك الرسائل أجوبته على أسئلة حاكم "كانو" السلطان محمد رونقا بن يعقوب، فيما يجوز للحكام لردع الناس عن الحرام، وهو إذ يشير إلى المفاسد الدينية والدنيوية، فإنّه ينبّه على ما يجب على الحكام تجاه ذلك. فجاءت رسائله هذه فيما يجب على الحكام والأمراء، وهي مقسمة إلى أبواب([٥٦]). وكتب رسالة أخرى سماها " تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسلاطين([٥٧])"، وهي شبيهة بتلك الرسائل التي كانت تصدر على شكل نصائح للملوك والأمراء خصوصا ببلاد السودان، حيث تحدث عمّا يجب على حكام المسلمين من حسن النية، وحسن الهيئة، وترتيب المملكة، والحذر في الحضر والسفر، والكشف عن الأمور وصرف المال وتسييره والعدل بين الرعية في الأحكام، وغيرها من النصائح في حق الأمراء والسلاطين وهي لا تختلف عن الأولى، والكتابان يدلاّن على اتصال المغيلي بالسلاطين والملوك، والتقرّب منهم قصد تحديد مهام الملوك، وأعمالهم تجاه الرعية، وهو يذكر في كل ذلك ما يجب في مجال السياسة والمجتمع و الاقتصاد، والرسالة معروفة أيضا بعنوان "مسائل الأسقيا وأجوبة المغيلي.([٥٨])"

كانت رسالته الأولى في هذا الشأن حينما دخل مدينة كانو، التي تعدّ من أشهر بلاد "الهوسا"، زمن الملك محمد رنقا بن يعقوب، وقد مكث بها مدّة من الزمن طويلة، فقام بها على القضاء والإمامة والإرشاد، وتزوج بها وأنجب الأبناء "أحمد و عيسى و السيد الأبيض"، ولا يزال الأحفاد بها فيما بعد، وانتهى بها إلى أن كانت له علاقات جيدة مع السلطان، فكتب له رسائل في الحكم والسياسة، وإرشاده إلى ما يجب على الحاكم المسلم.([٥٩])

جاءت هذه الرّسالة على شكل وصايا سياسية، موجزة واضحة ودقيقة، كان الباب الأول منها حول الكلام فيما يجب على الأمير من شروط وسلوك في الحكم، وتحدّث في الباب الثاني فيما يجب على الأمير في مجلسه من الهيبة والوقار، و من يجب أن يقرّب إليه من خيار و صلحاء، وكيفية إدارته لبيت مال المسلمين، وأمّا الباب الثالث فتحدث فيه عمّا يجب عليه من ترتيب أمور مملكته، فتحدث عن الوزراء والأئمة والقضاة والمحتسبون ،والشرطة وخدام الحضرة والجيش، وغيره من الهيئات التي وصلت عنده إلى اثنين و عشرين ( ٢٢) جهاز، يقوم على شؤون الدولة في المجتمع والسياسة والاقتصاد والحرب. أما الباب الرابع فأشار إلى التزام الحذر مع الإقدام، وعدم التسويف في الجهاد، ومقاومة العدو، وأشار في

الخامس إلى علاقة السلطان مع الرعية وواجبه عليهم من التفقد والمباشرة. ونبّه في السادس على ضرورة العدل والإحسان والإسراع إلى فضّ الخصومات، وعند هذه الأخيرة أي المقاضاة بين الناس فصل فيها وبيّن أخطارها، إن لم يتمّ ذلك وفق نصوص الشرع، ومعلوم السنة والأثر. ثم تحدّث في البابين السابع والثامن عن المال و جبايته وصرفه في ما يلزم، فتحدث عن الزكاة ومصارفها و الإغداق على الأئمة والعلماء والمؤذنين و القضاة.([٦٠])

لقد أثار المغيلي في هذه الرسالة إلى السلطان محمد رونفا- وكان هدفه من ذلك أن ينتصح بها كل أمير مسلم على رعيته- ما كان يثيره سابقا من التحدث في شؤون الحكم و السياسة، إلاّ أنّ الفارق هو أنّ المغيلي كانت توجيهاته أكثر عملية تنفيذية، عكس ما كتبه الأوائل حينما مالوا إلى التنظير أكثر، فجاءت رسالة المغيلي في الحكم و السياسة على شكل جوابات عن نازلة السياسة، وما يجب فيها من شروط وسير و أجهزة. وقد تقبّلها هؤلاء الملوك وسارعوا إلى تنفيذها، باعتبارها صادرة عن عالم فقيه، هم أحوج إلى توجيهاته، في ظل السلوكات الفاسدة، والفوضى العارمة، التي طالت قبائل بلاد السودان .

وجاءت الرسالة الثانية - ليس من حيث المحتوى، و إنمّا من حيث الوجهة - التي خصّها للجواب على أسئلة محمد أسقيا سلطان سنغاي، إذ كان المغيلي قد وصل إلى مدينة كاغو، و اتصل بمحمد الأول، وكانت له قبل ذلك علاقات معه، غير أنّ صاحب البستان يثبت أن المغيلي إنّما كتب مؤلفه للأسقيا بعد وصوله إلى كاغو، و معلوم أنّ المغيلي لم يمكث بكاغو أكثر من سنة حيث سرعان ما عاد إلى توات بعد سماعه مقتل ابنه عبد الجبار على يد اليهود، و ربما كان ذلك سنة ٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢ - ١٥٠٣م أي سنة قبل وفاته بتوات ([٦١]). وعليه فانّ رحلة المغيلي - على حسب أقرب مؤرخ له وهو ابن مريم- قد التقى فيها كل من محمد رونفا ملك كانو (هوسا)، ومحمد أسقيا ملك كاغو و بلاد تكرور جميعا (سنغاي) . أي أنّ اللقاء معهما كان مباشرا، وأنّهما طلبا منه إجابة عن أسئلة، وإعطاء آراء دينية تجاه مسائل في الحكم والسياسة والمجتمع والاقتصاد، ممّا قد يكون حلاّ لمشكلات عالقة لديهما تجاه رعيتهما. وقد أثارت إحدى الدراسات مسألة لا تخدم المغيلي حينما ذكرت استعمال السلطان للفقيه العالم لأجل تحقيق رغباته وطموحاته بضرب سلوكات سلطان أخر(حينما سأله محمد أسقيا عن الأموال التي أخذها علي سني وسلوكاته مع الرعية)، متسائلة عن تلك الأحكام الصادرة في حق علي سني، هل هي عن قناعة أم أنّها كانت خدمة لصالح السلطان، خصوصا وأنّ المغيلي كان أحد أقطاب الطريقة القادرية[٦٢]()؟ رغم ما عرف عن المغيلي من صرامة وتصلب في أمور الدين.([٦٣])

وإذ نشعر من خلال هذه الدراسة بذلك الهوس الذي ينتاب العديد من الدارسين تجاه الاقتراب الحاصل بين الفقيه و السلطان، على اعتبار أنّ العلاقة بينهما علاقة تنافر دوما – حسبهم– فإنّ عزاء الذاهبين إلى عدم انجرار المغيلي لخدمة أغراض غير دينية بالنسبة لمحمد أسقيا هو أنّه أجاب عن واقع ما سمعه، ووفق معطيات قدمت له، سواء كانت خاصة بعلي سني أو غيره، وفي حال تغيّر المعطي، فإنّ تغيّر حكم الفتوى لا يضرّ بالمغيلي، خصوصا و أنّه عرف –كما تمّ ذكره– بالصرامة وعدم المحاباة. وبالنظر إلى مواقف المغيلي اتجاه ملوك تلمسان أو فاس أو غيرهم، فإنّ فتاويه السابقة تشفع له اتجاه ذلك الحكم الصادر، والتساؤل الواقع في شأن فتواه ضد علي سني، والمؤازر لمحمد اسقيا أمير سنغاي.

تكمن أهمية الرسالة الثانية التي أفاد بها المغيلي محمد أسقيا (أسكيا) في أنّها تلقي الضوء على الواقع الاجتماعي والسياسي لدولة أسقيا، حيث تمّ بسط عدة مواضيع اجتماعية وسياسية من خلالها، والتي كانت تشغل بال هؤلاء، في وقت ظهر أنّ المغيلي بات جدّ مطلعا على أوضاع السودان، وهي رسالة تتعلق بأوضاع البلاد الداخلية، وكذلك علاقتها بالإمارات والقبائل الأخرى المجاورة، مثلما تظهر الوثيقة ذلك التواصل بين علماء بلاد المغرب و أهل السودان الغربي في الزمن الغابر.([٦٤])

وجب الملاحظة أنّ ما تمّ تحقيقه بالنسبة لهذه الوثيقة (أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي) قد وقع فيه تباين ([٦٥])بين المحققين في عدد الأسئلة و ترتيبها، بين من ذكر تسعة أسئلة، و من حقق سبعة أسئلة، مع الملاحظة أيضا أنّ محتوى الأسئلة والأجوبة يصب في أفكار واحدة، إلاّ أنّ المخطوطين المحققين يختلفان من حيث ترتيب الأسئلة، كما يختلفان من حيث حجم الأوراق والصفحات والتوسع الذي نجده في مخطوط آدم عبد الله الألوري، والتلخيص الذي انفرد به عبد القادر زبادية . والواضح أنّ اختلاف الشيخ قد جعل هذا الفارق واضحا بين التأليفين، ومن الواجب الإشارة إلى أنّ التحقيق الذي قام الباحث من مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية يظهر أكثر تفصيلا وتبيانا للمسائل بعكس التحقيق الآخر الموجود بنيجيريا.

وقد جاءت الأسئلة تخص الجانب الاجتماعي والسياسي والمعاملات عموما، فتحدثت عن عدم الأمانة فيمن ينسب إلى العلم، وهل يجوز الأخذ بفتواهم، خصوصا وأنّهم أعاجم لا يفقهون كلام العرب ولا مدلول النص، وقد انطلق المغيلي من خلال هذا السؤال إلى ذكر أمانة الحكم بين الناس وشروط الملك والإمارة، وعن بطانة الملك، وما يجب فيها ومنها،

وواجبات الأمير من حفظ الدّين وسياسة الدنيا، وقد أفاض المغيلي في نصح الأمير من خلال هذا السؤال، و شرح له شرحا وافيا معالم الدين، وشؤون الحكم بالنسبة للمسلمين.([٦٦])

وتحدث في المسألة الثانية عن عقيدة غريمة علي سني الذي حكم بلاد سنغاي قبل محمد أسكيا، وقد أشار هذا الأخير في سؤاله إلى تلك العقيدة التي كان يتميّز بها علي سني، حيث كان يشهد الشهادتين، ولكنه يفعل بنقيضهما في أهل بيته ومع رعيته، بالإضافة إلى الشرك، وسلب الأموال و الفساد، و تساءل عن الحكم في علي سني وجميع أعوانه من الظلمة، ما يفعل بماله و أولاده من بعده؟ وهو في هذا كله يشير إلى إعطاء حلول تجاه ما استشرى من فساد اجتماعي وسياسي واقتصادي، كان علي سني قد تسبب فيه وبالغ. وكان القصد من ذلك كله يكمن في التساؤل التالي، هل جهادهم جائز وأخذ الإمارة منهم واجب؟ وقد أجاب المغيلي بأنّه إن كان الأمر كما ذكرتم من الأعمال و المعتقدات، فهو كافر و جميع من عمل كذلك، أمّا إسترقاق أولاده فهو لا يرى إلى ذلك سبيلا، باعتبار أنّ الكفر ثلاثة أنواع كما ذكر، كما فصل المغيلي في الأرض التي فتحها الأجداد، ووضعها فيما بعد.([٦٧])

وتحدث المغيلي في المسألة الثالثة عن عقائد أهل البلاد – التي أخذت من علي سني وصارت إليه– وأنّ أهلها مسلمون، لكنهم يشركون بالله، و يعتقدون اعتقادات خاطئة، فيعتقدون في الأصنام، ويعظمون الشجر ويذبحون لهما، وقد بيّن لهم ذلك الأمير محمد أسكيا، فأبوا إلاّ بالسيف، فهو يسأل عن إصرارهم رغم تبليغهم بفساد الاعتقاد؟ وما الموقف منهم؟ وهل هم كفار؟ وكان جواب المغيلي تجاه هؤلاء صارما بالتبليغ، ثم الجهاد، وحرق تلك الآثار الوثنية.([٦٨])

أمّا المسالة الرابعة فهي عن حاكم ظالم يأخذ أموال الناس بالباطل، هل يجب ردعه والتدخل لكف ظلمه ولو كان ذلك بالقتال؟ وهل جهادهم واجب، رغم أنّهم لم يغزوا الديار؟ وهي مسألة تدور حول العلاقة بين إمارة المسلمين والممالك المجاورة الظالمة، والموقف منها؟ وكان جواب المغيلي التشجيع على الجهاد، ورعاية مصالح العباد، وبسط العدل في الأرض، ولو كان ذلك بالسيف، إذ ليس من المنكر قتل الظلمة والمفسدين.([٦٩])

إذا فهذه عينات من مجمل الأسئلة التي خاص فيها المغيلي –إجابة عليها– شرحا وتوضيحا وزيادة على ما في السؤال، وتفصيلا إلى ما يمكن أن ينبه على واجبات الأمير تجاه رعيته وحقهم عليه، ودوره في نشر الفضيلة وأخلاق الإسلام، والحثّ على إرساء المبادئ الاجتماعية والسياسية للحكومة الإسلامية، سواء في سياستها الداخلية مع الرعية أو في

سياستها الخارجية مع المخالفين، وما هي ضوابط الجهاد ونشر الدعوة، والموقف من الشركيات التي كانت تعرف بها منطقة السودان الغربي، إذ أنّ الإسلام لم يتمكن منهم بالشكل اللازم فوقعوا في العديد من التجاوزات التي جعلها المغيلي على عاتق الحاكم النابه، المحاط بالفقهاء والعلماء ذوي الصلاح والتقوى.

وهكذا أمدّنا المغيلي بنظرة دينية تشريعية من زاوية أخرى مخالفة لما قدمه ابن خلدون قبله في التنظير للدولة من خلال "المقدمة"أو في تنبيه أبي حمو لولده على شكل نصيحة من خلال " واسطة السلوك" ،التي تحدث فيها بأكثر تفصيل عن صفات الأمير الحاذق.

**الخاتمة**

ختاما يجب التنبيه على أن قيمة المغيلي بقدر ما يبرز فيها عنايته بالبعد السياسي الذي تشير إليه النوازل الخاصة بتوات أو رسائلها الخاصة بالسودان الغربي. فإنها تبرز في مجالات أخرى خاض فيها المغيلي ، حيث تقدم لنا كتب التراجم والطبقات مادة دسمة على تعاطي المغيلي في هذه مجالات، منها ثورته ضد الصوفية، وحربه ضد علماء السوء، الذين نسبوا إلى الزهاد لخداع الناس، وقد امتهنوا السحر للتدليل على ولايتهم، فجعلهم المغيلي من عناصر الفساد، بل أصدر فيهم فتوى بالجهاد(٧٠)

كما تقدم لنا الدراسات – التي تمت الإشارة إليها سابقا– تلك النقاشات العقدية والفقهية التي خاض فيها المغيلي مع علماء عصره، بما يظهر تفقهه وفلسفته في الدين، وقد دلّ " نص مراجعات كلامية بين تياري العقيدة السنية ببلاد المغرب الإسلامي" بين السنوسي والمغيلي، أي بين أنصار مواقف السلف، ومتعهدي التنظير الأشعري، دلّ ذلك على قوة طرحه وبلاء تعاطيه العلمي، وتعتبر هذه المراجعات والسجالات امتدادا لتلك المجادلات التي كانت ببلاد المغرب منذ عهد المرابطين بين المؤيدين للسنة المتهمين بالتجسيم، وتيار التومرتية الناحي منحى الأشعرية، وربما اعتبر المغيلي ممثلا لتيار الأقدمين، في حين كان السنوسي يمثل جسارة العقل المتسنن، وهي نصوص تمثل قمة ما بلغه المغيلي والسنوسي، وهذا لا يعني أنّ المغيلي كان يغيب العقل، وإنّما جعل له حدودا في حين أن كليهما استعمل المنطق.

لقد قدمت لنا المصادر نصوصا قيمة بما ينبه على فاعلية علماء المغرب الإسلامي في مجال العلوم بمختلف توجهاتها. كما تعطي هذه الإشارات نظرة حول قيمة الفضاء الإفريقي بالنسبة لساسة وفقهاء بلاد المغرب، وكيف يمكن أن نؤسس نظرة فاعلة اتجاه هذا الفضاء

الذي يبدو الآن حساسا على عدة أصعدة. فالقيمة الاقتصادية وامتدادها بين بلاد المغرب والعمق الإفريقي تبقى حاضرة منذ العصر الوسيط إلى يومنا، والملامح الحضارية الثقافية موجودة وراسخة عبر الزمن، والتعاطي الاجتماعي بين المجالين متوافرة متفاعلة على نطاق واسع.

وما يلزمنا اليوم إلاّ تفعيل هذا الزخم التاريخي لفائدة المجموعة البشرية في ظل الأخطار المحدقة بينهما من قبل العدو المشترك الذي لايزال تتفاقم تهديداته بتنشيطه الخلافات وتقويته للجامعات المناوئة لوحدة الماضي والحاضر والمستقبل للعلاقات بين بلاد المغرب وعمق بلاد السودان الممثلة للعمق الإفريقي.

## الهوامش

[١] () بلاد السودان وتسمى أيضا بلاد الزنج هي تلك البلاد المترامية المساحة من السواحل الشرقية لقارة افريقية حيث المحيط الهندي إلى الجنوب من مصر إلى غاية سواحل القارة الإفريقية الغربية حيث المحيط الأطلسي إلى الجنوب من صحراء بلاد المغرب، فهي تضم الشعوب ذات البشرة السوداء على اختلاف قبائلها وطبيعة سكانها، وتقسم إلى ثلاثة مجالات وهي بلاد السودان الشرقي ومنها اليوم اثيوبيا والصومال والسودان، والسودان الأوسط إلى الغرب منها فيضم تشاد مثلا، واما السودان الغربي فيقال له اليوم بلاد السنيغال ومالي والنيجر وما والاها من البلاد، كانت تضم بلاد السودان الغربي عدة إمارات وحواضر منها سنغاي وكانو وبلاد التكرور. راجع في هذا الشأن ما كتبه عنهم كل من أبو عبد الله محمد الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر بعنوان: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، تحقيق: دي غوجي ورينهارد دوزي، ليدن: منشورات بريل،١٨٦٦م، ص٩٠. انظر المزيد من الشرح في هامش ص١٣ و١٤من المقال.

[٢]()تلمسان حاضرة الامارة الزيانية في العصر الوسيط تقع بالقطر الجزائري في جهته الشمالية الغربية، وهي مدينة أزلية تعود إلى غابر العصور، وصفها أصحاب المسالك بحيوية والعراقة عبر العصور، راجع أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب (جزء من المسالك و الممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص ٧٦.

[٣] () – بلاد توات هي تلك المنطقة المتواجدة إلى الجنوب الغرب من القطر الجزائري ، كانت ولا تزال تضم العديد من القصور، كما كانت معبرا وسوقا في نفس الوقت على طريق التجارة بين تلمسان وتكرور وبلا السودان. تعرف بعلمائها وكتاتيبها وتأثيرها في بلاد السودان الغربي.

[٤]()– بلاد المغرب الأوسط أول من ذكر هذا المصطلح هو البكري (ق٥هـ) في مسالكه، وذكر بأنها البلاد التي قفلها من الشرق بجابة وبابها قفلها الغربي تلمسان، وهي التي تمثل اليوم القطر الجزائري ، والمغرب الأوسط يوجد بين المغرب الأدنى ( تونس) والمغرب الأقصى. .

[٥] () – أكد جميع المؤرخين بنسب واصول قبيلة مغيلة على انها قبيلة بربرية وليست عربية، اما عن منازلها وديارها ومكانها والمناطق التي استقرت بها في المغرب الإسلامي فقد اجمع المؤرخون والمختصون بتاريخ المغرب ان هذه القبيلة استقرت في المغرب الاوسط عند مصب شلف في البحر ومن ساحلهم اجاز عبد الرحمن الداخل إلى بلا الاندلس. راجع دراسة أزهر صادق كاظم مهدي تميمي: قبيلة مغيلة ودورها السياسي والعسكري في مساندة عبدالرحمن الداخل في الاندلس، وزارة التربية المديرية العامة لتربية ديالى، معهد الفنون الجميلة الصباحي للبنين ديالى، ص ٣٧٩. https://www.iasj.net/iasj/download/792037b6d27a8ae4 تحديث يوم ٣٠ مارس ٢٠٢٤ الساعة ١٠ ليلا.

[٦]() انظر البكري أبو عبيد الله (ت ٤٨٧هـ): المسالك والممالك، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيرو.ت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢.، ج٢، ص ٢٦٢.

[٧]()ابن مريم محمد بن محمد : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.ص٣٣٣.

[٨]()راجع المغيلي محمد بن عبد الكريم:مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح رابح بونار، وزارة الثقافة الجزائرية، ط ٢٠٠٧، ص ١٨ ؛ الشفشاوني محمد بن عسكر الحسيني: دوحة الناشر لمحاسن من كان من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حاجي ، الدار البيضاء، المغرب،ط٣، ٢٠٠٣.ص ١١٨.

[٩] () الشفشاوني: المصدر نفسi ، ص ١١٨.

[١٠] () – راجع دراستنا للدكتوراه ، الحركة الفقهية بالمغرب الأوسط، رسالة دكتوراه بجامعة الجزائر ، إشراف لطيفة بشاري، نوقشت عام ٢٠١٥ بقسم التاريخ .

[١١]() أنظر مقال الحمدي أحمد: محمد بن عبد الكريم المغيلي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع١، ٢٠٠٣، ص ٣٧.

[١٢]() البكري: المسالك ، ج٢، ص ٢٦٢.

[١٣]() ابن بابا حيدة (محمد الطيب بن عبد الرحيم ق١٩م): القول البسيط في أخبار تمنطيط، د م ج المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر ١٩٧٧، ص ١٤؛ أنظر أيضا مقال الحمدي (أحمد): محمد بن عبد الكريم المغيلي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع١، س ٢٠٠٣؛ يحيى بوعزيز: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٥.ج٢، ص ١٤٣ .

[١٤]( ) التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج،تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.،ج٢، ص ٢٦٥؛ابن مريم :البستان،ص ٣٣٣ .

[١٥]() راجع مجموع مصنفاته عند التنبكتي: نيل ، ج٢، ص ٢٦٦ .

[١٦]() الحمدي (أحمد): محمد عبد الكريم المغيلي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ص ٣٤ .

[١٧]() كشبيط (عز الدين): المدرسة المالكية في الجنوب الجزائري، ملتقى المذهب المالكي، عين الدفلة، ٢٠٠٩، ص١٦٣ .

[١٨]() – وهو فقيه مالكي ،كان عالم حاضرة فاس بكل اقتدار في وقته، وقد كان في خلاف مع المغيلي في مسالة يهود توات.

[١٩]( )- النوازل الفقهية هي تلك المسائل التي كان يفرضها واقع بلاد المغرب ومجتمعها، حيث تأتي قضايا اجتماعية اواقتصادية اوسياسية كمسائل غامضة لم ترد بشأنها فتوى سابقة تتطلب الإجابة والتوضيح من الفقيه فيجيب عليها، وتسمى النوازل كما تسمى المسائل والفتاوى وغيرها من المصطلحات.

[٢٠]() انظر الدباغ (محمد): المدرسة المالكية التواتية ، ملتقى المذهب المالكي الخامس عين الدفلة ، ٢٠٠٩ ، ص ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

[٢١]( ) – ابن مريم: البستان، ص ٣٣٥

() [٢٢]– الآلوري (آدم عبد الله): الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر،ط١، ١٩٧٤، ص ٢١ .

()[٢٣]– قدّم عبدالسلام دراسة حول موقف فقهاء بلاد المغرب من المنطق ضمن مساهمة علمية بجامعة محمد الخامس بالرباط راجع ، البعزاتي (بناصر): العلم والفكر العلمي بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس ، الرباط، سلسلة رقم ٩٤، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط،٢٠٠١، ص ٢٣ – ٣٦.

() [٢٤]– ابن مريم: البستان، ص٣٣٥، ٣٣٦ تمّ تحقيق المخطوط تحت عنوان "لب الألباب في رد الفكر إلى الصواب" من طرف ضيف (بلقاسم الجزائري) : لب الألباب في رد الفكر إلى الصواب ، دار ابن حزم ،ط١، بيروت,لبنان ٢٠٠٦.

[٢٥]() – الآلوري آدم عبد الله: الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية.ص ٢٤ . على الرغم من الموقف المتأخر للغزالي منها.

[٢٦]( ) مقال الحمدي (أحمد) : محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص ٣٨ .

[٢٧] المغيلي (محمد بن عبدالكريم): مصباح الأرواح، تح رابح بونار، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٢ وحققه ايضا عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠١، ولكن المحققين وقعا ضحية خطإ الناسخ في ذلك وسيأتي بيانه لاحقا.

[٢٨]( ) التنبكتي: نيل ، ج٢، ص ٢٦٤، الحمدي (احمد): محمد بن عبد الكريم المغيلي،المجلة الجزائرية للمخطوطات،ع٢٠٠٣،١،ص ٣٨

[٢٩]() مجهول: تاليف في التصوف وذكر بعض رجاله، مخطوط، خ ع، رقم ٤٧٢ د ورقة ٣٦٥

[٣٠]( ) التنبكتي: نيل الابتهاج، ج٢ن ص ٢٦٤ سياتي بيان النازلة والمواقف منها وتأثيراتها لاحقا

[٣١]( ) انظر نازلة توات عند الونشريسي أبو العباس أحمد : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط١٩٨١.ج ٢، ص ٢١٤ و ما بعدها.حيث يشير إلى رسالة العصنوني إلى فقهاء تلمسان و فاس .

[٣٢]( ) انظر في ذلك ابن مريم: البستان، ص٣٣٣؛ وقد ذكر مسألة توات الونشرسي: المعيار، ج٢، ص٢١٤، ٢١٨

[٣٣]() المغيلي (محمد بن عبد الكريم): مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح رابح بونار، الجزائر ١٩٦٨، ص ٧٢، ٧٣؛ التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل: تاريخ دولة بني زيان، مقتطف من كتاب نظم الدّرّ والعقيان،تحقيق محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ١٩٨٥.ص ١٧

[٣٤]() مقدم (مبروك): الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ج١، ص٧٧، ٧٨

[٣٥]( ) علي حمدان أحمد : بصدد رسالة المغيلي ، ص ١٠٦ .

[٣٦]( ) ا بن الطيب (محمد): القول البسيط في أخبار تمنطيط ، مخطوط محقق ضمن رسالة لفرج محمد فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط١٩٧٧، رسالة دكتوراه مناقشة بجامعة الجزائر. تحت إشراف أبو القاسم سعدالله. وهي مذيلة بتحقيق مخطوط لمحمد بن بابا حيدة (ق ١٩م): القول البسيط في أخبار تمنطيط.ص ١٤ .

[٣٧]( ) العبادي (محمد): محطات في تاريخ المغرب الفكري و الديني، (مقال بهيجة الشاذلي) ، ص ١٩٤ .

[٣٨]( ) انظر ذلك الونشريسي: المعيار، ج٢، ص ٢١٤ وما بعدها .

[٣٩]() الشفشاوني محمد بن عسكر:دوحة الناشر لمحاسن من كان من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حاجي، الدار البيضاء، المغرب،ط٣، ٢٠٠٣.ص ١١٧

[٤٠]( ) العقباني (أبو عبد الله محمد بن احمد بن قاسم بن سعيد التلمساني ت ٨٧١ هـ): تحفه الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح على الشنوفي، دمشق، ١٩٦٧، ص ١٤٣ وما بعدها؛ الونشريسي: المعيار، ج٢، ص ٢٤٥، وما بعدها

[٤١]() الونشريسي : المعيار ، ج٢، ص ٢٤٩ وما بعدها

[٤٢] المذهب الظاهري ينسب في أصله إلى داود الظاهري الذي كان بالعراق، والقائل بأخذ الفتوى من ظواهر النصوص وبالاعتماد على الوحي (القرآن والسنة) حيث لا تاويل ولا اجتهاد مع نص، وقد تم بعث المذهب ببلاد الاندلس على يد ابن حزم الظاهري مثلما قيل بأن الدولة الموحدية في فترة من فتراتها كانت ظاهرية المذهب، وفي هذا نقاش كبير.

[٤٣]( ) الونشريسي: المعيار، ج٢، ص ٢٥١ .

[٤٤] العبادي (محمد): محطات وتاريخ المغرب، مقال بهيجة الشاذلي، ص١٩٢؛ حمدان (علي أحمد): بصدد رسالة المغيلي، ص ١٠٦.

[٤٥]( ) المغيلي : مصباح الأرواح ، تح بونار، ص ١٤ .

[٤٦]( ) ابن مريم: البستان، ص ٣٣٢ ، التنبكتي: نيل ، ج٢، ص ٢٦٥.وهو مثل يضرب على النزاع والصراع الذي انتهى ولم يستعمل السلاح.

[٤٧] هو الفقيه العالم أبو عبد الله بن عبد الجبار كان عارفا وأدبيا شاعرا، أنظر الشفشاوي: دوحة الناشر، ص ١١٩ .

[٤٨]( )راجع فتاوى ابن زكريا لتلمساني ضمن ، ابن زكريا (التلمساني): معلم الطلاب مما للأحاديث من الألقاب ، جمع وتحقيق محمد أويدير مشنان وعبدالرزاق دحمون، دار المعرفة الدولية، الجزائر طبعة خاصة ، ٢٠١١، ص ٢٧ وما بعدها لعدة صفحات.

[٤٩]() ابن زكري: معلم الطلاب: ص ٣٣٣

[٥٠]( ) راجع مقال الحمدي (احمد): محمد بن عبد الكريم ص ٣٤ .

[٥١] سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١٩٨١، ج١، ص ٤٧ .

[٥٢] سماها أحمد الحمدي بـ" رسالة إلى كل مسلم ومسلمة" أنظر المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع ١، ٢٠٠٣.، وسماها أحمد العلمي حمدان بـ "استصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان" أو رسالة المغيلي في أمور السلطنة"، أنظر أحمد العلمي حمدان: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس، ع٥، ١٩٨٩م

[٥٣]( )العلمي (أحمد حمد): استنصاح السوادن أخر فقهاء توات وتلمسان،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،فاس،ع٥، ١٩٨٩ ، ص٨٩ ،٩٠.

[٥٤]() بلاد السودان الغربي منطقة شاسعة واسعة حيوية بنهريها "نهر نيجر ونهر السينغال"، وقد احتوت هذه المنطقة عبر التاريخ على ممالك عديدة، هي مملكة مالي والممتدة من نهر النيجر حتى السنغال، وهي أكبر من مساحة إقليم غانا، كانت أول عاصمة لها في عهد الإسلام بلاد "تكرور" نسبة لشعبها تكرور، انظر موسى (فيصل محمد): موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٧ ليبيا، ص ٥٥.

وأما المملكة الثانية فهي مملكة غانا وهي من المماليك التي قامت غرب إفريقيا أشار البكري إلى أنها تقع بين نهري نيجر والسنيغال وامتدت أراضيها فشملت الأراضي الممتدة في السينغال وجامبيا حاليا إلى الشواطئ الغربية لبحيرة تشاد إلى حدود الشرقية لنيجيريا ومن الصحراء الكبرى شمالا إلى خليج غينيا جنوبا ويعتبر قبائل السونينك البذرة الحقيقية لهذه المملكة. امتزجت هذه القبائل مع البربر الذين غزوها من الشمال، وقد برزت على اثر ذلك مملكة جديدة هي مملكة " وجادوا" وأرضها سميت " ارض غانا" أي أمير الجيوش " أو " قائد الحيوش" وسماها العرب " ارض الذهب"، وربما كان الملك في فترة ما وثنيا، إلا أن رجال بلاطه كان منهم المسلمون، حسبما أورد ذلك البكري . انظر جوان (جوزيف): الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة: ط١ ،١٩٨٤،ص ٤٧ – ٤٨؛ فيصل محمد موسى: نفس المرجع ، ص ٥٤. أما مملكة الهوس فتقع بين برنو والسينغال في حوض النيجر الأعلى، وهي منطقة خصبة كانت في العصر الوسيط منطقة تجارية تحوي مدنا تجارية منها وجيبر وكانوا ورانو وكاتيسنا وزايا والهوسا وليسوا قبيلة واحد أو قبائل عدة من أصل واحد، بل هي مزيج من قبائل متعددة من عدة أعراف. وعرف أهلها بالزراعة والصناعة اليدوية كاستخلاص الذهب ودباغة الجلود وبعضهم ذووا أصول طوارقية. انظر فيصل محمد موسى : موجز تاريخ افريقيا ، ص ٥٧

أما مملكة سنغاي فكانت تابعة لمملكة مالي، وسنغاي أصل قبائل شتى كانت على ضفاف نهر النيجر الأوسط فيما بين ق ٧ و ٩ هـ ، ثم غزتها إحدى قبائل البربر " ضيا" فأسست أسرة حاكمة، كان تأسيس أول عاصمة لها وهي " جاو" سنة ١٠١٠ حيث اعتنق ملكها الإسلام تحت حكم أسرة "ضياء العالمين " إلى سنة ١٣٢٥ حينما تولت أسرة أخرى الحكم وهي أسرة " السني" على يد على كولون" والذي ضم إليه مدنا عديدة منها مدينة " تمبكتو" كما كان من ابرز حكامها الملك " محمد اسقيا" وعاصمتها " تمبكتو" عاصمة العلم والعلماء . وهناك ممالك أخرى كان أبرزها هذه الممالك الأربع راجع" جوان جوزيف: الإسلام في ممالل وامبراطوريات افريقيا السوداء، ص ٨١، ٨٢؛ فيصل محمد موسى: موجز تاريخ افريقيا ، ص ٥٦ .

[٥٥]() التنبكتي : نيل، ج٢، ص ٢٦٥.

[٥٦]() الألوري (آدم عبد الله): الإمام المغيلي و آثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى، مطبعة بابي الحلبي،مصر،ط١، ١٩٧٤،ص ٤٠ وما بعدها.

[٥٧]( ) كان صدوره أولا بمكة ثم تمّ تحقيقة سنة ١٩٩٤ ، راجع المغيلي (محمد بن عبد الكريم): تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تح محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤ .

[٥٨]() الحمدي (أحمد): محمد بن عبد الكريم المغيلي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع ١، ٢٠٠٣، ص٣٩.

[٥٩]() آدم الالوري: الامام المغيلي، ص٣٩؛ مقدم (مبروك): الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ج١، ص٢٤٩ .

[٦٠]( ) لقد قدم كل من، الألوري (محمد عبد الله): قراءة في المصدر الذي يعود إلى المغيلي الموسوم ب "المغيلي و أثاره في الحكومة الإسلامية" ، ص ٤٦ و ما بعدها و مبروك مقدم في كتابه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ج ١، ص ٢٥١ و ما بعدها و تشبههما ما قدمه حمدان (أحمد العلمي): استنصاح السودان احد فقهاء توات و تلمسان ، ص ٨٩ – ١١١ . تحقيقات لرسائل تصب كلها في إطار نصائح المغيلي، لمحمد رونقا وغيره من السلاطين، و هي رسائل كلها متشابهة، مما يعني أن نسخها متعددة، و قد تكرر منهم التحقيق على ثلاث مرات .

[٦١]() ابن مريم : البستان، ص ٣٣٢؛ المغيلي (محمد بن عبد الكريم): أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٧٤، ص ٠٦ .

[٦٢]( )– الطريقة القادرية طريقة صوفية منتشرة في بلاد المغرب منذ بروز الطرق الصوفية والت تنسب إلى ولي الله العارف عبدالقادر الجيلاني الذي ولد بجبال جيلان، بلاد تقع في العراق سنة ٤٧٠ للهجرة على الأرجح، أبوه يسمى موسى جنكي أبن عبد الله المكنى أبو صالح وأمه أم الخير بنت عبد الله الصومعي الحسيني، دخل الشيخ العاصمة العباسية بغداد سنة ٤٨٨ للهجرة وهو ابن ثمانية عشرة سنة، فاتجه نحو زاوية الشيخ حماد الدباس الملقب بأبي الخير وهو من أجل مشايخ بغداد وأئمتها في وقته أخذ عنه الشيخ الجيلاني العلم والأدب وهما أسس السلوك والطريق، وقد انتقلت طريقة تصوفه إلى الجزائر منذ العصر الوسيط بواسطة الشيخ الولي أبو شعيب بومدين الغوث التلمساني ومنه انتشرت إلى بلاد المغرب والسودان الغربي . راجع مقال عبدالمجيد ساقني: الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، مج ٦٩،ع ١٨، جوان ٢٠١٩، جامعة ٢٠ أوت بسكيكدة، لجزائر، ص١٥١–١٧٠.

[٦٣]() الشاذلي (جهيدة): مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي ملاحظات أولية، مساهمة ضمن محرر العبادي (محمد): محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني،ص ١٩٧ – ١٩٨ .

[٦٤]() المغيلي (محمد بن عبد الكريم): أسئلة الاسقيا و أجوبة المغيلي ، ص ١٧ .

[٦٥]( ) و ذلك بالنظر إلى ما حققه عبد القادر زبادية من خلال مخطوط (أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي) الموجودة على مستوى المكتبة الوطنية بالجزائر دون ذكر رقم المجموع ، و كان طبعه سنة ١٩٧٤، كما يحضر ما حققه أيضا ادم عبد الله الألوري، و هو مدير المركز العربي الإسلامي باجيجي في نيجيريا و ذلك سنة ١٩٧٤ أيضا حينما جمع من أثار المغيلي في نيجيريا حيث حقق مناظرته مع الإمام السيوطي حول الموقف من المنطق و حقق رسالتي المغيلي إلى محمد رونفا ملك كانو و إلى الحاج محمد أسكيا ملك كاغو.

[٦٦]() المغيلي: أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي ، ص ٢١– ٣٤ ، و هي عند ادم الالوري في المسألة الثامنة.

[٦٧]() نفس المصدر، ص٣٤- ٤٣ وهي أسئلة وأجوبة تقابلها عند آدم الألوي المسائل الأولى والثانية والثالثة

[٦٨]( ) المغيلي: أسئلة الأسقيا، ص ٤٣-٤٧ وهي عند آدم الالوري في المسالة السادسة والتاسعة.

[٦٩]() المغيلي: نفس المصدر، ص ٤٧، ٥٣، وهي عند آدم الألوري: في المسالة السابعة

[٧٠] المغيلي (محمد بن عبدالكريم): أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح عبدالقادر زبايدية، الشركة الوطننية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤، ص٢١؛ الحمدي (أحمد): محمد بن عبد الكريم المغيلي: المجلة الجزائرية للمخطوطات،ع٣،٢٠٠٣،ص ٣٦.

**قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:**

**أ- المخطوطات:**

١- مؤلف مجهول: تأليف في التصوف وذكر بعض رجاله، مخطوط، خ ع، الرباط، المملكة المغربية، رقم ٤٧٢ د

**ب- المصادر:**

١- البكري أبو عبيد الله (ت ٤٨٧هـ): المسالك والممالك، تح جمال طلبة، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيرو.ت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢.

٢- التنبكتي أحمد بابا(أبو العباس ت١٠٣٦هـ) : نيل الابتهاج بتطريز الديباج،تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، ط١، ٢٠٠٣. .

٣- التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل(ت٨٩٩هـ/ ١٤٩٤/): تاريخ دولة بني زيان، مقتطف من كتاب نظم الدّرّ والعقيان،تحقيق محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ١٩٨٥.

٤- الادريسي أبو عبد الله محمد (٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر بعنوان: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، تحقيق: دي غوجي ورينهارد دوزي، ليدن: منشورات بريل، ١٨٦٦م

٥- ابن زكريا (التلمساني ٨٢٠-٨٩٩ هـ): معلم الطلاب مما للأحاديث من الألقاب، جمع وتحقيق محمد أويدير مشنان وعبدالرزاق دحمون، دار المعرفة الدولية، الجزائر طبعة خاصة، ٢٠١١

٦- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسيني(٩٣٦- ٩٨٦هـ): دوحة الناشر لمحاسن من كان من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حاجي ، الدار البيضاء، المغرب،ط٣، ٢٠٠٣

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

٧- العقباني (أبو عبد الله محمد بن احمد بن قاسم بن سعيد التلمساني ت ٨٧١ هـ): تحفه الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح على الشنوفي، دمشق، ١٩٦٧.

٨- ابن مريم محمد بن محمد : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.

٩- المغيلي (محمد بن عبد الكريم ت٩٠٩هـ): أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٧٤

١٠- المغيلي (محمد بن عبد الكريم): تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تح محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤ .

١١- المغيلي (محمد بن عبدالكريم ت ٩٠٩هـ): مصباح الأرواح، تح رابح بونار، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٢ وحققه ايضا عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠١

١٢- المغيلي محمد بن عبدالكريم :مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح رابح بونار، وزارة الثقافة الجزائرية، ط ٢٠٠٧.

١٣- الونشريسي أبو العباس أحمد (ت٩١٤هـ) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج٢ ، تح محمد حجي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط١٩٨١.

ج- **المراجع:**

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

١- الألوري (آدم عبد الله): الإمام المغيلي و آثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى، مطبعة بابي الحلبي،مصر،ط١، ١٩٧٤

٢- الآلوري (آدم عبد الله): الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر،ط١، ١٩٧٤.

٣- ابن بابا حيدة (محمد الطيب بن عبد الرحيم ق١٩م): القول البسيط في أخبار تمنطيط، د م ج المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر ١٩٧٧

٤- البعزاتي (بناصر): العلم والفكر العلمي بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس ، الرباط، سلسلة رقم ٩٤، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط،٢٠٠١.

٥- جوان (جوزيف): الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر مختار السويفي، دار الكتاب والمصري، القاهرة: ط١٩٨٤،١.

٦- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١٩٨١،

٧- ضيف (بلقاسم الجزائري) : لب الألباب في رد الفكر إلى الصواب ، دار ابن حزم ،ط١، بيروت,لبنان ٢٠٠٦.

٨- الطيب بن (محمد): القول البسيط في أخبار تمنطيط ، مخطوط محقق ضمن رسالة لفرج محمد فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط١٩٧٧، رسالة دكتوراه مناقشة بجامعة الجزائر. تحت إشراف أبو القاسم سعدالله. وهي مذيلة بتحقيق مخطوط لمحمد بن بابا حيدة (ق ١٩م): القول البسيط في أخبار تمنطيط.

٩- كشبيط (عز الدين): المدرسة المالكية في الجنوب الجزائري ، ملتقى المذهب المالكي ، عين الدفلة ، ٢٠٠٩ .

١٠- موسى (فيصل محمد): موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٧ ليبيا،

١١- يحيى بوعزيز: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٩٥.ج٢

**د- المقالات:**

١- الحمدي (أحمد): محمد بن عبد الكريم المغيلي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع١، س٢٠٠٣

٢- الدباغ (محمد): المدرسة المالكية التواتية، ملتقى المذهب المالكي الخامس عين الدفلة، ٢٠٠٩ .

٣- عبدالمجيد ساقني: الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، مج ٦٩،ع ١٨، جوان ٢٠١٩، جامعة ٢٠ أوت بسكيكدة، لجزائر

٤- العلمي (أحمد حمدان): استنصاح السوادن أخر فقهاء توات وتلمسان، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، ٥ع، س ١٩٨٩.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies